

## هرموبوليس مدينة الحج

للأستاذ فوزى الشمتوى

### انقرض من مصر

في أساطير قدماء المصريين أن جماعة اجتاحت بلاد النوبة فتسكت بأهلها وزرعها ، إلى أن خف إليها الإله توت على شكل قرد أخذها وأعاد إليها الأمن ورغد العيش . والإله توت من أقدم معبودات قدماء المصريين . وله رمزان يتشبه أحدهما على صورة طير أبي منجل . ويثله الثانى صورة وجه القرد .

وقد تبين من حفريات جامعة فؤاد الأول برئاسة الدكتور سامى جبرة فى منطقة توتة الجبل قرب ملوى أن أرض مصر فى عهد الفراعنة كانت تضم مجموعة كبيرة من الحيوانات التى انقرضت أو هاجرت إلى بقاع أخرى ومنها طير أبي منجل والقرد . والأول من فصيلة أبي قردان وله طباعه فى الفلك بالحشرات الصارة بالإنسان وزرعه .

### رمزاه الملوك

قال عنه هيرودوتس المؤرخ اليونانى إنه كان يسكن بين جبال سينا فياً كل الثعابين والحيات قبل دخولها أرض مصر . ويقول الدكتور سامى جبرة إن المصريين شهدوا ازتان مشبته ووقاره ، فأعجبوا بصفاته العالية ،

وأخذوه رمزاً للإله المعرفة ، ولئن كانت قوانيننا الحالية تحرم صيد أبي قردان ، وتفرض النرامة والسجن على مقتنصه فإن قوانين القدماء كانت تقضى بإعدام من يقتل



( شكل ١ )

طائر أبو منجل وأمامه تمثال الآلهة مان إله العدل

والقرد من الحيوانات النادرة التى تهلل جماعتها إذا أشرقت الشمس وتنوح وتندب إن آذنت بالغروب . والمصريون القدماء

معروفون بدقة الملاحظة . رأوا فى تهليله ونواحه علامة على معرفته لأسرار الشمس والعالم الآخر .

والإله توت إله المعرفة ، يعرف ما خفى وما استتر ، ويحق الحق ويرزق الباطل . وهل للإله المعرفة من رمائش من الأتران كما تتسل فى أبي منجل ؟ وهل من إدراك بالغيب وسر إقبال الشمس واختفائها أعمق من إدراك القرد ؟ رأى المصريون فى الحيوانين صفات شديدة الصلة بالإله توت فأخذوهما له رمزين جيين ، ورفعهما إلى مركز التقديس .

وزال أبو منجل من مصر ، ولكنه لا يزال يقطن السودان وشواطيء إيطاليا الجنوبية ، كما يعيش القرد فى عدة أماكن منها السودان . وعرف رمز الإله فى عهد الفراعنة باسم توت ، فلما أقبل اليونان والرومان رأوا فيهما تشابهاً مع إله المعرفة عندهم فسموه هرمس .

وأطلقوا على بلدة أشمون الغربية اسم هرموبوليس . ولتوت فيها مقابر من السرايب الصخرية قال عنها هيرودوتس إن مساحتها ٤٠ فدانا ضمت حث آلاف القردة وأبي منجل .

ولعل القارىء سمع عن بلدة الأشمونين أو بلدى أشمون . والغربة منهما تكون من قبور الإله توت ومعابده ومكان الحجاج والشرقية هى مركز الحياة المدنية والإدارية . وقد كشفت حفريات الدكتور سامى جبرة عن المدينة المقدسة فأعطانا معلومات هامة عن فترة من أشد فترات التاريخ المصرى القديم غموضاً وهى ما يسميه الدكتور بعصر الانتقال . إذ يربط بين المدينة المصرية وبين المدينة اليونانية الرومانية . وهناك قطع أثرية جمعت بين النين . وقد امتدت إلى ما قبل العصر المسيحى بقليل .

### مجهول ينكشف

ويقول الدكتور إن أبحاث الجامعة هناك تشمل فترة تبدأ من القرن السادس قبل الميلاد . وتمتد إلى القرن الثالث بعد الميلاد ، أى أنها تضم تسعة قرون من الزمن . ولا تخلو آثارها من مفاجآت ، ففى أحد السرايب وجد ناووس للاله توت يخص الملك رمسيس الثانى من عهد الأسرة التاسعة عشرة .

ويرى مؤرخنا أن أهمية منطقة الأشمونين ترجع إلى موقعها الجغرافى والتاريخى . فهى فى مفترق الطرق بين مدينة طيبة قرب الأقصر وبين مدينة ممفيس فى الدلتا . وهى منطقة واسعة الثروة

وإن كان صاحب الرمز فقيراً ودفع قدراً قليلاً من المال حطت الحجة من الدرجة الثالثة ، ووضعت في إناء من الفخار ، ثم دفنت في حجرات واسعة منتشرة على جانبي السرايب صفاً سفا . فإن اكتمل نظام صف وضعت فوقه طبقة من الرمال لتبدأ طبقة أخرى من الحث إلى أن تملأ الحجرة فيبدأ الدفن في غيرها ودفن الأترياء مع رموز آلهتهم تماثيل وتماثيل تمثلهم لتحل على أشخاصهم بركة الآلهة . وكانوا يضمونها في صناديق من خشب الجيز الذي أثبت أنه لا يبلل بحر السنين ، وأنه أقوى أنواع الخشب متانة واحتمالاً بخلاف ما يقول النمل البلدي « تخن على الجيز » وكتب بعضهم على هذه الصناديق أدعية .

### معرات تحنيط الموتى

وقرب مدخل السرايب وجدت غرفة تحنيط كاملة المعدات وتبين جميع مراحلها ، في أحد أركانها إناء كبير يحتوي على مادة التحنيط نفسها ، ولكن تحليلها لم يكشف عن سر تركيبها ، فإن انتهت هذه العملية حمل الكهنة الومياء في موكب ديني وهم يرتلون أدعيتهم وزلوا اسم السرايب بظهورهم إلى أن يضموها في مقراها الأخير وأحد هذه السرايب خاص بالعطاء ، نقش سقفه بالألوان وزين بالرسوم ، وتغطيه الآن طبقة خفيفة من « الهباب » لا يعرف مصدرها وإن كان يظن أنها أترحيق شب في السرايب أو لأن المسيحيين كانوا يلجأون إليه هرباً من اضطهاد الرومان فيتمساعد دخان مسارجهم ويفطى السقف بلونه القاتم واحتفظ معبد الأرواح المقدسة في أحد السرايب بنقوشه وآثاره . شيد أحد البطالسة تقرباً من المصريين وهو يمثل الإله توت على شكل قرد يستقبل أشعة الشمس . ويلاحظ أن جميع غزاة مصر حاولوا التقرب من المصريين وحكمهم عن طريق الاندماج في دياناتهم ، فقد وجد ناووس قرد للملك داريوس الفارسي . وتحاط مدينة الحج بسور متدرج في الارتفاع تكون كل ثمانية أعمدة درجة . والثمانية هو درج ، والثمانية هو رمز تلك المنطقة وتعبير عن عدد آلهتها الثمانية المعترف بهم في ذلك الوقت . فلا نجد هناك شيئاً يتكون من ست أو سبع بل ثمانية ومضاعفاتها وحتى مدخل السرايب أضواء بئاني مسارج .

### نوزي السرى

يتسع فيها وادى النيل فيغطي رقعة واسعة من الأرض هي في الواقع أوسع منها في أى بقعة أخرى .

وتتفرع من هذه المنطقة أيضاً طرق قوافل تخرق البقاع إلى السودان وإلى البحر الأحمر . كما يخرقها نهر النيل وبحر يوسف فتجود أرضها بالوفير من الغلات والحاصلات .

وقد بدأت الحفريات في سنة ١٩٤١ في ظروف قاسية فلم يكن بالمنطقة ماء ولا سكان ، بل كانت تلالاً من الرمال يتراوح ارتفاعها بين ١٢ متراً و ١٥ متراً فلم يكن هناك مقر من المبيت في خيام أو أكواخ صغيرة ، فتحمل الجميع شظف العيش هناك . وعلى مر السنين أقيمت البنايات ونيسر الحصول على الماء والغذاء وأصبحت من أجل البقاع .

### مدينة الحجاج

ومدينة الحجاج تتكون من ثلاثة سرايب طويلة متفرعة اتخذت مدافن لثلاثة توت . شيد إلى جوارها بناء كبير يتكون



( شكل ٢ )

داخل السرايب وترى فتحات دفن الطيور والقردة

من عدة غرف لتنظيم دفن جثث الطيور أو القردة . فإن مات واحد منها نقله صاحبه إلى الكهنة ودفع قدراً من المال يقرر تبعاً له مدى إتقان التحنيط ومكان الدفن . فإن كان كبيراً حنط رمز الإله تحنيط الدرجة الأولى ودفن في فتحات خاصة حفرت في الصخر على جانبي السرايب . فحرف مكانه ونيسر له زيارته كل عام في عيد الإله توت في أول الشهر المعروف باسمه في التقويم القبطي ، ويوافق ١٦ يوليو في بدء الفيضان .